

الظلم

خطره وعواقبه

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

مع تعليق سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

- حفظه الله تعالى -

النُسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ

﴿١﴾ [الأنعام].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله بشّر وأنذر، لا خير إلا دَلَّ الأمة عليه، ولا شر إذا حذّرها منه، فصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

اللَّهُمَّ إنا نعوذ بك أن نزل أو نزل، أو نضل أو نضل، أو نجهل أو يجهل علينا، أو نظلم أو نظلم، اللَّهُمَّ فأعِزنا.

ثم إنَّ هذا الموضوع:

الظلم خطره وعواقبه

من الموضوعات المهمة أن تكون مع العبد المؤمن ليلاً ونهاراً؛ لأن الله جل وعلا أقام السَّمَوَاتِ والأَرْضِ على العدل، وحرّم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً، كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا».

والظلم في القرآن والسنة معناه واسع، يشمل كل فروع الشريعة والعقيدة.

فكل مسألة من مسائل العقيدة من أخذ فيها بما دَلَّ عليه الكتاب والسنة، وكان عليه سلف الأمة، فهو الذي جاء بالحق وأتى بالعدل، وسعى في رفع الظلم عن نفسه، وكلُّ من سعى في أمور العبادة والشريعة والمعاملات بأنواعها بما جاءت به سنة محمد عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ فقد سعى في الأخذ بالعدل ورفع الظلم.

إذن فحقيقة العدل إحقاق العقيدة والشريعة، حقيقة العدل أن تقوم العقيدة والتَّوْحِيدُ في قلوب العباد قولاً وعملاً واعتقاداً، وأن يقوم العمل الصالح في العبادات وفي المعاملات فيما بين العبد وبين ربه وفيما بين العبد وبين إخوانه بل وبين الناس على ما جاءت به الشريعة في الكتاب والسنة.

فمن أقام نفسه على ذلك فقد تبرأ من الظلم، ومن أحلَّ بشيءٍ فله نصيب من الظلم.

ولهذا أجمع علماء اللغة على أن حقيقة الظلم في اللغة تعود إلى وضع الشيء في غير موضعه اللائق

به.

فمن وضع العبادة في غير موضعها اللائق بها المستحق لها وهو الله جل وعلا فقد ظلم.

من توجه بالعبادة إلى غير الله وصرف العبادة إلى غير الله فقد ظلم؛ لأنه وضع العبادة في غير موضوعها اللائق بها.

من أطاع هواه والشيطان وخالف أمر الله جل وعلا فترك الفرائض فقد ظلم.

من لم يعامل العباد كما أنزل الله جل وعلا ولم يُعْطِهِمْ حقوقهم على أنواع الحقوق فقد ظلم، وهكذا.

فإذن الظلم عام، فكل من حاد عن الشريعة فله نصيب من الظلم.

ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر]، فجعل خاصة الناس وهم الذين أورثوا الكتاب وهم المسلمون جعل منهم الظالم لنفسه؛ يعني بفعل المحرم أو ترك الفريضة.

ولهذا لما نزل قول الله جل وعلا في سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢]، شق ذلك على الصحابة بفهمهم معنى الظالم ولمعرفتهم بسعة المعاناة فقالوا: يا رسول الله أيتنا لم يظلم نفسه؟ فقال: «ليس ذلك الظلم الذي تذهبون إليه، إنما الظلم الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنِىْ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان]». إذا تبين لك ذلك، فهناك عبارات مختلفة لأهل العلم في كتب اللغة وفي كتب التفسير يعبرون عن الظلم بها.

فتارة يقولون ما ذكرت: الظلم وضع الشيء في غير موضعه اللائق به.

وتارة يقولون: الظلم هو صرف الحق عن أهله.

وتارة يقولون: الظلم عدم إيصال الحقوق لأهلها.

وتارة يقولون: الظلم أن لا تعطي كل ذي حق حقه.

وهذه العبارات متنوعة ولكن مؤداها واحد.

إذا تبين لك ذلك فقد جاء لفظ الظلم في الكتاب العزيز في مواضع كثيرة جدا، تارة بالمعنى العام، وتارة بمعنى خاص.

فمما جاء في ذلك أن الظلم يأتي بمعنى الكفر، كما قال سبحانه: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة]، وقال جل وعلا: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [١٨] الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا [هود].

ويأتي الظلم بمعنى الشرك كما في قوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣] وكالآية التي ذكرت لكم ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ يعني بشرك ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢].

يأتي الظلم بعدم طاعة الرسول قال جل وعلا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [١١٢] وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ [النحل]، فكل من كذب الرسل فهو ظالم وكل من عبد الله جل وعلا وأشرك فهو ظالم.

ويأتي الظلم أيضا في الكتاب والسنة بمعنى فعل الكبيرة وظلم العبد لنفسه بترك الفرائض وفعل المحرمات كما في آية فاطر التي ذكرت لكم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، قال العلماء الظالم لنفسه هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا؛ أتى بواجبات وأتى أيضا بمحرمات، لم ينته عن كل المحرمات ولم يأت كل الواجبات؛ بل خلط هذا وهذا، فظلم نفسه بمعصية.

ولم سُمِّي ذلك ظلما للنفس؟ لأن نفسك أعزُّ شيء عليك فمن حقها عليك أن تكرمها، من حقها عليك أن تُسعدّها، كمن حقها عليك أن تبوئها المنازل العالية، فإذا عرضتها للعذاب، إذا عرضتها للمكاره، إذا عرضتها لمخالفة أمر الله فقد ظلمتها ولم تعطها حقها الذي ينبغي لها من أن تكون مطيعة لخالقها متبوءة السعادة في الدنيا والأخرى.

أيضا جاء الظلم في القرآن في وصف بعض الكبائر مثل القتل والسرقة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٨) ﴿فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ [المائدة]، يعني بالسرقة، وهكذا في ظلم النفس يعني بالمعصية بالزنا، بشرب الخمر، بقتل النفس، كل هذا ظلم للنفس.

وأیضا مما جاء في الكتاب والسنة أن الظلم يكون بين العباد فيما بينهم، يظلم الآخر يعني لا يعطيه حقه؛ بل يسلبه حقه الذي أعطاه الله جل وعلا إياه، فمن ظلم الناس في أموالهم فهو ظالم، ومن ظلم الناس في أعراضهم فهو ظالم، ومن ظلم الناس فيما يملكون فهو ظالم، ومن بخس الناس حقوقهم أيضا هو ظالم لهم.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من ظلم قيد قدر شبر من الأرض طوّقه يوم القيامة من سبع أراضين».

وثبت أيضا في الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من كان عنده لأخيه مظلمة -مظلمة بكسر اللام- في مال أو عرض فليتحلله اليوم، قبل أن يكون يوم لا درهم فيه ودينار». وهذا في الظلم بين العباد. فإذا الرجل:

يظلم أخاه إذا غشّه.

يظلم أخاه إذا أخذ ماله.

يظلم أخاه إذا اغتابه.

يظلم أخاه إذا قتله.

يظلم أخاه إذا انتهك عرضه بأنواع انتهاك.

كل ذلك من الظلم؛ لأن الحق الذي أوجب الله جل وعلا لفلان هذا حق له، فإذا لم تعطه الحق الذي له فإنك قد ظلمته والعياذ بالله.

لهذا فالظلم معناه واسع في الشريعة، معناه واسع، فمسائل التوحيد من لم يأت فيها بها أوجب الله

جل وعلا من توحيد الله وعبادته وحده دونما سواه كما سيأتي في بعض التفصيل الكلام على ذلك.
من لم يتابع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويجعله قدوة له ويقدم قوله على قول غيره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فله نصيب من الظلم.

من لم يطع الله جل وعلا في أداء الصلاة، في أداء الزكاة، في أداء الفرائض، بالانتهاء عن المحرمات
فهو له نصيب من الظلم.

ولهذا ربنا جل وعلا جعل الظالم ظالماً لنفسه؛ لأنه لا يظلم الله ولا يظلم الناس ولكن أنت في
الحقيقة تظلم نفسك، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة]، لأن
الظلم في الواقع راجع عليه، إذا ظلمت غيرك فقد ظلمت نفسك، ولا بد للظلم من أثر في الدنيا أو في
الآخرة.

إذا تبين لك في هذه المقدمة سعة معنى الظلم وبعض موارد في الكتاب والسنة؛ فاعلم أن الظلم
يقسم تارة باعتبار إلى ثلاثة أقسام:

ظلم في حق الله جل وعلا وهذا بالشرك به وبتكذيب رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا القسم الأول.
والثاني ظلم للنفس بفعل المعصية وترك الواجب.

والثالث ظلم للعباد وذلك بعدم إعطائهم حقوقهم التي أعطاهم الله جل وعلا إياهم.
فهذه ثلاثة أقسام باعتبار.

وتارة يقسم أهل العلم الظلم من حيث موارد إلى أنه:

يكون ظلم في أمر التوحيد.

ويكون ظلم في أمر السنة.

ويكون ظلم يعني يوجد ظلم في العبادات.

ويكون ظلم في المعاملات.

ويكون ظلم في الأعراض.

ويكون ظلم في الجنايات.

ويكون ظلم في العلاقات الاجتماعية. وهكذا.

إذن فكل أنواع التعامل التي تتعامل بها التي تتعامل بها في كل لحظاتك في يومك وليلتك لا تخلو إما
أن تكون قد أقمتهما بالعدل أو قد أقمتهما على الظلم.

فإذا نفذت أمر الله جل وعلا في عبادتك له وحده دونما سواه؛ لم تتوجه لغيره سبحانه فقد أقيمت
العدل فيما بينك وبين ربك جل وعلا ورفعت الظلم.

إذا تركت المحرم وأتيت بالواجب ورفعت نفسك عن معصية الله فقد رفعت نفسك عن ظلم
نفسك.

كذلك في أداء الحقوق بأنواعها.
وهذه كما ترى تشمل كل الأقسام سواء بالاعتبار الأول أو بالاعتبار الثاني.
فلنأخذ شيئاً من التفصيل فيما يتعلق بالتقسيم الأول أو بالتقسيم الثاني.
أما الأول فقد قسمنا إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ظلم للعبد في حق ربه جل وعلا

هذا الظلم كيف يكون؟ يكون العبد لا يمكن أن يظلم ربه جل وعلا، فالله ﷻ هو القوي العزيز هو المهم هو الملك هو ذو الملكوت والجبروت سبحانه، ذو الجلال والإكرام، لا يمكن للعبد أن يظلم ربه جل وعلا؛ لكن يقع منه الظلم في حق الله جل وعلا، وحق الله ﷻ عبادته وحده دونما سواه، ولهذا جعل الله جل وعلا في القرآن المشرك ظالماً، وجعل الله جل وعلا في القرآن الكافر ظالماً، وجعل الله جل وعلا في القرآن المكذب لرسول الله ولرسول الله جعله ظالماً.

إذا تبين ذلك فأعظم ظلم، أعظم الظلم وأخبثه وأقبحه هو الشرك بالله جل وعلا، كما قال سبحانه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣]، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣]، أول وصية من لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه؛ يعني يأمره وينهاه بما فيه مصلحته ﴿يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣] فكل أنواع الشرك ظلم، فإذا وقع في الأرض الشرك فقد وقع فيها الظلم ومعنى ذلك أنه وقع فيها الفساد.

لهذا كل من عبد غير الله جل وعلا أو أقر في داره أو في بلده أو في مجتمعه عبادة غير الله جل وعلا فقد ظلم وأقر الظلم، وهذا هو أعظم أنواع الظلم التي يفعلها العبد ويقرها في بلده أو يقرها في بيته، إلى آخره.

إذن الشرك بالله وهو دعوة غير الله معه التوجه لغير الله بالدعاء بالذبح بالنذر بالاستغاثة بالاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا من مناداة الغائبين أو مناداة الموتى في غير الأمور من مناداة الموتى أو مناداة الغائبين ونحو ذلك هذا كله شرك بالله جل وعلا، فمن رضي فقد رضي الظلم في حق الله جل وعلا، ومن نفاه في بيته أو في داره أو دعا إلى نفيه فقد دعا إلى العدل وأقر العدل وأمر بالعدل وحرّم الظلم.

ولهذا فأعظم صلاح يكون للعبد في نفسه أن يبتعد عن الشرك كله صغيره وكبيره، وأعظم صلاح وعدل يكون في المجتمع، يكون في بلد، ويكون في الدولة، أن لا يكون فيه شرك أكبر بالله جل وعلا، فتكون الأرض صالحة غير فاسدة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ﴾ يعني وحده ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف ٦٦]، فإصلاح الأرض بأن لا

يُعبَد فيها إلا الله جل وعلا، فالبلد والدار التي لا يعبد فيها إلا الله جل وعلا لا أثر في مظاهر الشرك الأكبر من عبادة الأولياء والأنبياء وعبادة الصالحين والذَّبْح للشجر والحجر والتعلق بغير الله تعلق العبادة، هذه الأرض صالحة؛ لأنه ارتفع عنه أكبر أنواع الظلم وهو الظلم في حق الله وهو وجود الشرك.

لهذا أعظم ما تدعو إليه وأعظم ما تحرمة أن تدعو للتوحيد وأن تحرم الشرك يعني تدعو إلى الانتهاء عنه، فهذا أعظم ما تكون متقرباً إلى الله جل وعلا به، فأعظم الحسنات التوحيد، وأعظم السيئات الشرك الأكبر بالله جل جلاله.

هذا نوع من الظلم في حق الله جل وعلا.

كذلك والظلم في حق الله جل وعلا يكون بأن لا تثبت لله جل وعلا ما أثبتته لنفسه سبحانه، ربنا جل وعلا سَمِيَ نفسه بأسماء وهو أعلم بنفسه جل وعلا، وصف نفسه جل وعلا بصفات.

فأن تسلب عن الله جل وعلا ما يسمي به نفسه أو وصف به نفسه فقد ظلمت في حق الله جل وعلا. لهذا كل محرّف لأسماء الله جل وعلا ولصفاته فله نصيب من الظلم في حق الله جل وعلا، وكذلك في سائر أمور الاعتقاد، فكل من اعتقد في أمر خلاف ما جاء به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وكان عليه الصحابة رضوان الله عليهم فقد وقع في نوع من أنواع الظلم، الواجب على العبد أن يكون عادلاً في عبادته لله وحده، بأن لا يعبد إلا الله وأن يكون عادلاً غير ظالم في العقيدة في توحيد الله في أسمائه وصفاته، بأن لا يتردد في أن يثبت لله جل جلاله ما أثبتته لنفسه، الله ﷻ قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه]، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١) في سبع آيات في القرآن.

فدلّ هذا على أن النفس لا تطيب إلا بأن توافق ربها جل وعلا فيما نسب إلى نفسه وأثبت لنفسه.

فإذن من قال لم يستوفظ ظلم في حق الله جل وعلا.

ومن قال الاستواء ليس استواء وإنما هو استيلاء فقد ظلم أيضاً في حق الله جل وعلا.

والظلم في حق الله جل وعلا درجات.

كذلك وأنواع الشرك الأصغر ووسائل الشرك هي ظلم بحسبها.

والظلم في حق الله جل وعلا له آثاره في الدنيا والآخرة كما سيأتي في ذلك، فهو خطر، خطر عظيم أن يظلم العبد؛ لأن الله سبحانه أعدّ النار للظالمين، أعدّ النار لمن ظلم، وأعظم الظلم كما ذكرته لك هو الشرك بالله جل جلاله، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

(١) وردت هذه الآية في القرآن في ست مواضع: الأعراف؛ الآية (٥٤)، يونس؛ الآية (٣)، الرعد؛ الآية (٢)، الفرقان؛ الآية (٥٩)، السجدة؛

الآية (٤)، الحديد؛ الآية (٤).

فإذن هذا الظلم عاقبته النار، عاقبته النكال في الدنيا والعذاب في الآخرة كما سيأتي بيانه في آثار الظلم في الدنيا وفي الآخرة.

الظلم يكون في حق العبد لنفسه

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ [النحرف: ٦١]. ونحو ذلك من الآيات.

العبد هو الذي يظلم نفسه، كيف تظلم نفسك؟ كما ذكرت لك نفسك هذه عزيزة عليك، من حقها عليك أن تسعدها، من حقها عليك أن تختار لها أحسن شيء، فإذا اخترت لها شيئاً تكون عاقبته سيئة على نفسك، معرضاً نفسك للعذاب في الدنيا أو النكال في الآخرة فقد ظلمتها لأنك لم تعطها حقها وهي أقرب بل هي أعز الأشياء إليك.

لهذا الإتيان بالفرائض والانتها عن المحرمات، من أتى به فقد رفع الظلم على نفسه، لذلك تأمل في حياتك في كل أنواع سلوكك إذا أتت فريضة فبادر إليها، إذا أتى محرم فبادر بالانتها عنه وتصور أنك لو غشيت اللذة المحرمة ساعة أو أكثر أو أقل فإن لذتها تذهب وإن عاقبة ظلمك لنفسك تبقى، هذا وما أحسن ما قال الشاعر:

إِنَّ أَهْنَىٰ عَيْشَةٍ قَضَيْتُهَا ذَهَبَتْ لَذَاتُهَا وَإِثْمٌ حُلْ

فإذن العبد المؤمن لا يجوز أن يعرض نفسه للعذاب ولا للنكال ولا للخسار في الدنيا وفي الآخرة ولا لسوء العاقبة بمثل قلة الرزق، العبد يُحرم الرزق بالذنب يصيبه كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُحْرَمَ الرِّزْقَ لِلذَّنْبِ يَصِيبُهُ»؛ لأنه ظلم، إذا ظلمت حُرمت، كما أنك ظلمت فإنك تحرم، ﴿فِيُظَلِّمْ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وسيأتي بيان بعض الآثار مستقبلاً. كذلك:

الظلم في حق العباد

الظلم في حق الآخرين، وقد جاء في الحديث الذي رواه الطبراني وغيره أن النبي ﷺ قال: «الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان لا يغفره الله وهو الشرك - لأنه أعظم الظلم - وديوان بين العبد وبين ربه يغفره الله - وهو ما بين العبد وبين ربه - وديوان لا يبقى الله منه شيئاً وهو ظلم العبد للآخرين».

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في وصف المؤمن «المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله»، المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه، فكل أنواع التعامل بين المؤمن والمؤمن، قد تتعامل بالعدل وإعطاء صاحب الحق حقه، وقد تتعامل بالظلم، خذ مثلاً أنواع الحقوق، الحقوق أنواعها كثيرة: فحقُّ للوالدين فمن لم يبرِّ والديه فقد ظلم.

حق لزوجك فمن لم يعط أهله حقهم فقد ظلم.

حق لأولادك فمن لم يعط أولاده حقهم من الرعاية والتربية والإنفاق إلى آخره فقد ظلم؛ لأن الأولاد أمانة، رعايتك لهم رعاية أمانة، هم أمناء عندك، وقد تخون الأمانة وقد تكون قائماً بالأمانة على وجهها.

تعاملت مع إخوانك، مع الناس في أعراضهم في أموالهم قد تعاملهم بالحق والعدل وقد تعامل بالظلم فتسلبهم حقوقهم.

إذن كل حق عليك فعدم أدائك له نوع من الظلم.

هناك لأهل العلم فمن لم يؤدي حق أهل العلم فقد ظلمهم.

هناك حق لولي الأمر من لم يؤدّ حقه فقد ظلمهم، وهكذا في أنواع التعامل.

فإذن الواجب على العباد أن يسيروا بالعدل، وأن يعطوا كل ذي حق حقه حتى يتبرؤوا من الظلم ومن عاقبة الظلم.

الظلم بين المؤمنين وبين الناس هذا الظلم النوع الثالث يتنوع كما ذكرنا في أنواع الحقوق، ويطول المقام بتفصيل الكلام على أنواع الظلم وعلى أفرادها؛ لكن نذكر أمثلة في ذلك:

الحقوق المالية هذه يجب أدائها، من لم يعط الأجير حقه فقد ظلمه، من غش في المبيع فقد ظلم، «ليس منا من غش» كما ثبت في «صحيح مسلم»، النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ خطب يوم عرفة في الناس كما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِنْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» يعني الحرمة المغلظة، الدماء والأموال والأعراض، الدماء؛ التقاتل هذا ظلم، كل مؤمن قتل أخاه فقد ظلمه، وكل سعي في القتال وفي الفتنة فهو ظلم، وهو هذا من أعظم أنواع الحرام؛ لأن أعظم أنواع الفساد أن يسفك الدم الحرام كما قال جل وعلا في قتل الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠] لأنها أقبح أنواع المعاصي العملية سفك الدم.

الدماء خذ الآن أمثلة مما يقع في العالم الإسلامي أو مما يقع في غيره، كل هذا الذي تراه ظلم، العبد يظلم نفسه ويظلم إخوانه، تظالم، قتل، سفك الدم، لا يدري القاتل لم قتل ولا المقتول لم قتل، لا يدري، فتن هذا يقتل وهذا يقتل لم؟ لا أحد يعرف، في عصبية، وفي ثارات، وفي أمور كلها منكراً. والحديث عن هذه المسألة ذو شجون.

الأموال؛ المال قسمان مال خاص ومال عام:

المال الخاص؛ مال المعين من المسلمين، فأن تتعدى على ماله فتأخذ بغير وجه حق هذا ظلم سواء علم أو لم يعلم، وإذا أخذت عرق الأجير، ولم تعط الموظف أجرته، لم تعط المتعاقد معه أجرته، لم تعط الذين لهم مرتبات مرتباتهم وهم يحتاجون إليها ولا يرضون بالتأخير فهذا ظلم، «ومطل الغني ظلم»

كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

والمال أمره خطير، وعاقبته خطيرة؛ لأنَّ به الحياة، فإذا حُبست المال عن صاحبه أو من له الحق فيه بغير وجه حق، فلا شك أن هذا ظلم له وقد يترتب على هذا الظلم أنواع من الظلم في أسرهم وفي أولادهم وإلى آخره.

الظلم في الأعراض هذا باب واسع، يدخل فيه الزنا والعياذ بالله، والله جل وعلا جعل الزنا فاحشة وساء سبيلاً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، من زنى فقد ظلم نفسه، فإن زنى مسلمة فقد ظلم وليها وظلمها هي أيضا سواء كانت مطاوعة أو غير مطاوعة، ومن زنى بحليلة جاره فقد ظلم بأكبر أنواع الظلم في هذا الباب، ولهذا النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذكر أن مزانة حليلة الجار أن هذا من أعظم الذنوب أن تزاني حليلة جارك؛ لأن الجار يوثق بجاره ويحسن لجاره ويخلفه إذا سافر ويحسن لأهله ويحسن إلى ولده، فإذا الجار يخون فكيف إذن يؤمن البعيد، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه لنفسه ولا في عرضه ولا في أهله؛ يعني هذا في الزنا.

كذلك القذف أنواع القذف هذا اعتداء على الأعراض وهي حرام، يقذف الواحد بشبهة، رآه في حال فلان ما فيه خير، عنده أمور وهو يظن ظنا، والله جل وعلا نهانا عن بعض الظن وقال ﴿أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِنَّكُمْ﴾ [الحجرات: ١٢]، لأنَّ الظن الذي له قرائنه أو الذي عند القاضي أو نحو ذلك هذا مقرر شرعا وله أحكامه، ولكن أن تظن بالآخر شيئا وأنت لا تستيقن، حق المسلم عليك أن تنشر محاسنه وأن تكتم مساوئه، وليس العكس، إذا نشرت محاسنه؛ الناس انتشر بينهم الخير وقلَّ فيهم الشر، أما أن ننشر الشر المكان الفلاني فيه كذا وهذا فعل كذا وكأن البلد ليس فيها إلا الشر، فهذا يقوي الشر وينشره ويصبح الناس يتهاونون فيه، سواء في حديث المجالس أو في المحاضرة أو في الخطبة والباب في هذا أعظم.

فالواجب أن تنشر محاسن أخيك لتعينه على الخير، وإذا علمت منه شيئا علم يقين فأن تناصحه بينك وبينه، ولا تظلمه بأن تقذفه أو أن تسيء إليه أو أن تكشف ستره وتفشي سره، لاشك هذا نوع من الظلم في حقه إلا إذا كان مجاهرا بذلك، فمن جاهر ففقد ألقى جلباب الحياء، فلا حق له؛ لأنه هو الذي أسقط حقه.

في مسائل اللسان؛ الغيبة والنميمة، هذا التعرض لأخيك بما يكره من الغيبة، قيل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ما الغيبة؟ فقال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قال: أرأيت إذا كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». فالغيبة ظلم؛ لأنها تعرض للعرض، وقد ظلمته في حقه إذا اغتبته.

وكذلك النميمة والعياذ بالله وهي أشد لأنها مفسدة لذات البين، والله سبحانه أمر بإصلاح ذات البين.

إذن فحقوق المسلم على المسلم متنوعة في نفسه، في ماله، في أهله، في ولده، في عرضه، هذه حقوق متنوعة، فكل باب منها إذا لم تعط أخاك المسلم حقه ظلمته فيه، والناس في هذا درجات منه من تنزه عن الظلم فأعانه الله على نفسه، ومنهم من ليس كذلك.

الظلم هذه أمثلة له مع تأصيل لموضوعه ووروده في الكتاب والسنة؛ لكن ما أثر الظلم؟ ما عواقب الظلم؟

الظلم أخبث شيء يكون على الأرض، الله ﷻ أقام السموات والأرض على العدل وحرّم الظلم على نفسه، فالله سبحانه ليس في أحكامه الكونية ظلم ولا في أحكامه الشرعية ظلم «إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» هذا الظلم إذا وقع في الأرض فله آثاره، وهل عوقبت الأمم التي كذبت الرسل إلا بظلمها؟ هل أخذوا بالعذاب المستأصل في الدنيا إلا بظلمهم؟ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٣].

هل حرموا الطيبات وانقلبت حياتهم من السعة والطمأنينة والأمن إلى ضد ذلك من الضيق والخوف والهلع والجزع والقلق إلا بسبب الظلم، قال جل وعلا: ﴿فِيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَيَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [١٦٠] وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَأَقْدَمُوا عَنْهُ وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ [النساء: ١٦٠] لأنواع من الذنوب من الظلم الذي وقع من العباد حرّمت عليهم أشياء طيبة كانت حلالاً لهم.

قال بعض أهل العلم: التحريم هنا لبني إسرائيل نوعان:

- حصل أن حرموا وحرّمت عليهم أشياء شرعا.
- وحصل أن حرموا عليهم أشياء كوناً.

يعني التحريم في الآية يكون كونياً ويكون شريعياً، ﴿فِيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ﴾ يعني أن الله جل وعلا حرّمهم الطيبات كوناً، وأيضاً حرم عليهم بعض الطيبات في شرعيتهم، وجاء عيسى عليه السلام ليحل لهم بعض الذي حرّم عليهم في الشريعة.

إذن الظلم هنا في هذه الآية بين الله جل وعلا بعض عواقبه فقال: ﴿فِيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ﴾ فإذا نزل تحريم الطيبات، الطيبات أنواع؛ طيبات المأكّل طيبات المشارب وغير ذلك حرم عليهم بعض ذلك.

فإذا نزل العبد يخشى أن يكون الظلم إذا وقع منه في حق الله جل وعلا فأفسد في الأرض عبداً إصلاحها بالشرك وبالبدعة بعد السنة أن يكون ظالماً والظالم له عقوبته.

من آثار الظلم أن الظالم ليس بذي أمن في الدنيا وليس بذي أمن في الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ هنا ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ و(ظلم) نكرة جاءت نكرة في سياق النفي بـ(لم) فنعم جميع الظلم، وهذا الظلم عام مراد به الخصوص وهو الشرك؛ لأن العام عند الأصوليين قد يبقى العام على

عمومه وقد يعرض العام ما يخصه، وقد يتحول العام إلى مخصوص فيكون عاما مرادا به الخصوص يعني حالة واحدة.

النبي ﷺ فسر الظلم هنا بالشرك، قال طائفة من العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ومن تبعه: إن الظلم هنا النبي ﷺ فسره بالشرك؛ لأنه فهم من الصحابة أنه لما شقَّ عليه فهم منهم أنهم خالفوا أصل حصول الأمن لهم وأصل حصول الاهتداء، فقالوا: أئنا لم يظلم نفسه؟ فظنوا أن وجود أصل الظلم أي نوع من أنواع الظلم يسلب الأمن أصل الأمن فينقلب أمرهم إلى خوف ويسلب الاهتداء أصل الاهتداء فينقلبون إلى ضالين، ففسره لهم بالنهاية وهو الشرك.

قال: ولهذا الآية فيها تناسب يعني أن بقدر وجود الظلم يوجد الأمن والاهتداء فالله ﷻ قال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ والظلم درجات وأنواع، فكل من كان مبتعدا عن الظلم فله نصيب من هذه العاقبة وهي الأمن والاهتداء.

فمن كمل العدل ونفى الظلم عن نفسه في تعامله وفي حق الله جل وعلا وفي حقوق الخلق فقد كمل له الأمن والاهتداء، وهذه مرتبة الأنبياء والمرسلين، ثم الناس بعدهم درجات.

فإذا صار العبد يخلط ظلما ويخلط صلاحا وعدلا، فيكون الأمن النفسي في داخله أو الأمن في مجتمعه، يكون أيضا بقدر انتفاء الظلم، لهذا كلما كثرت الكبائر والخبث وكلما كثرت مخالفة التوحيد والسنة بقدر ذلك يتزعزع الأمن، في العباد في أنفسهم وأيضا في مجتمعاتهم - في مجتمعات المؤمنين -؛ لأن الله ﷻ رتب ذا على هذا.

من آثار الظلم الذي جاء في هذه الآية وهو انتفاء الأمن قد بيته آية سورة النحل حيث قال جل وعلا ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ هذه الحالة حالة النعمة رزقها رغدا من كل مكان، وهذا قد يراد به مكة كما هو قول كثير من المفسرين، وقد يراد به العموم؛ يعني كل قرية فيها من الصفات التي ستأتي ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢]، هذه حال.

لما وقع الظلم بالكفر - لأننا قلنا لكم في الأول أن الكفر ظلم ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة]، الذي يصد عن دين الله هذا ظالم، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [١٨] الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴿هُود﴾، في الأعراف (١) ... بظلم ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٣]، لاحظ كلمة ﴿لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ اللباس يلبسك من رأسك إلى قدمك، فقال جل وعلا: ﴿لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ يعني أنه صار ملازما لهم في كل أبدانهم من رأسهم إلى أقدامهم، ملازمة اللباس لصاحبه، فالقلب يخاف واليدين تخاف و... أصبح في قلق لا يستطيع تفكيراً ولا حراكاً ولا طمأنينة، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) التي في الأعراف هي: ﴿أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [٤٤] الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا ﴿الأعراف﴾.

إذن الظلم هذه بعض آثاره في الدنيا.

أما في الآخرة فالظالم أنواع:

إذا كان الظالم كافرا مشركا الشرك الأكبر فهو معذب في قبره العذاب الدائم وهو خالد في النار.
وإذا كان الظالم ظلم بما دون الشرك الأكبر فإن الله سبحانه يغفر ذلك لمن يشاء، وقد يؤاخذ العبد في الآخرة على ظلمه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤٨) [النساء].

الظلم؛ ظلم العبد لنفسه بالمعاصي بالأموال بترك الفرائض هذا لا بد له من عقوبة إن لم يتب العبد، إذا لم يتب العبد جل وعلا في الدنيا ولم يغفر الله له ذنبه -يعني يستره عليه في الدنيا ويغفر له الآخرة- لا بد له من عقوبة إما في الدنيا وإما في الآخرة.

فإذن الظالم قد يسلم من أثر الظلم إذا تاب وأناب، والتوبة تجب ما قبلها، أو إذا غفر الله جل وعلا له، والله سبحانه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير سبحانه؛ ولكن العبد يخاف، يرجو ولكن يخاف.

فلهذا لا يجوز للعبد أن يأمن على نفسه، من أمن على نفسه طرفة عين سلب الله جل وعلا الإيمان، ما يجوز الأمن، تأمن ولا تخاف أبدا؟ هذا ليس بحالة للمؤمن ولا للمسلم المسلم يكون راجيا طامعا في فضل الله ويكون خائفا وجلا من معصية الله جل وعلا هذه حال أهل ولاية الله جل وعلا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خِدِيعِينَ﴾ (٩٠) [الأنبياء]، إذن الظلم له عاقبة في الآخرة يعني بالمعاصي.

تعلمون أن العبد إذا ظلم بما هو دون الشرك الأكبر مثلا ظلم فهو جهنم خالدا فيها كما قال سبحانه ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، والخلود في القرآن نوعان:

خلود أبدي.

وخلود أمدي طويل وله زمن ينتهي فيه؛ لأن الخلود في لغة العرب معناه المكث الطويل خلد وخلد يعني مكث طويلا ولهذا كانت العرب تسمي أولادهم خالدا تفاؤلا بطول مكثهم في الحياة.

قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ يعني يمكث فيها مكثا طويلا، وساعة أو لحظة من لحظات جهنم، لا يتحملها العبد فكيف بمكث فكيف بأمد طويل.

كذلك الزنى قال الله جل وعلا فيه: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٦٨) يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَكَانًا ﴿[الفرقان]، كذلك أمرها شديد سواء في القبر أو عرصات القيامة أو في النار نسأل الله جل وعلا السلامة من النار ومما قرب إليها.

حقوق العباد، إذا ظلمت العبد فاخش من شيئين:

أخش أولاً على نفسك من هذا الظلم؛ لأن ظلم العبد لإخوانه في أخذ ما ليس له محرم، فاخش على نفسك من هذه العاقبة.

والثاني اخش من دعاء المظلوم فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: «واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» وجاء في الحديث الصحيح أن الرب جل وعلا إذا دعا المظلوم فسمع الدعاء قال جل وعلا لهذه الدعوة: «وعزتي وجلالي لأنصرتك ولو بعد حين» الظلم ظلمات في الدنيا وفي يوم القيامة. فإذا ظلم عاقبته وخيمته، الظلم خطر في عبادة الله جل وعلا، في التعامل، في سلب الحقوق، في الأضرار، في الأموال، في تعاملك مع زوجك، لا تظلم، اجعل نفسك قوية على الحق، وابتعد عن الظلم، إذا ظلمك العباد فلا تظلم العباد «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» كما رواه أبو داود بإسناد فيه مقال.

فالعبد المؤمن ولو بلغه الناس فإنه لا يعامله بظلم، قال جل وعلا: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى]، الظالم من هو؟ الذي ابتدأ والذي جاوز بالعقوبة ما كان من جنسها، فهو تكلم عليك فأنت إذا جاوزت بالكلام عليه فقد ظلمته، تعطيه حقه، جزاء السيئة سيئة مثلها؛ لكن العفو والإصلاح خير ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

هذه أمثلة لهذا الموضوع، ولا شك أنه يجب علينا جميعاً أن نخشى الله جل وعلا وأن نتقيه وأن بتعد عن الظلم في أنفسنا وفي مجتمعاتنا، كلُّ عليه واجب، الرجل في أسرته وفي أهله عليه واجب، فالله الله أن يظلم.

فالرجل الذي له زوجتان لا يظلم واحدة ويفضل الأخرى عليها، وتصبح الأخرى لا مطلقة بل معلقة لا يعطيها حقها في العطية ولا يصرف عليها ولا يعطيها حقها في المال.

وكذلك الأولاد لا يجوز أن يُفضل بعض الولد على الأولاد، «واتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»، فمن فضل بعض الأولاد عن بعض في عطية دون سبب شرعي يجيز ذلك فإنه ظالم، والنبي عليه الصلاة والسلام سمى ذلك عدلاً يعني إذا ساوى بين الأولاد في العطية اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.

كذلك في سائر أنواع المعاملات في جميع أحوالهم ليكن دائماً معك رقابة الرب جل جلاله والظلم وإن خفي على بعض العباد فإن الله ﷻ يعلمه ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، سبحانه ربي وتعالى.

أسأل الله أن يعيننا على رقابة الرب جل وعلا والعمل بالطاعة والبعد عما يُغضبه جل جلاله. إذن فهذه المسألة كما ترى خطيرة فأرعاها سمعك، وقلِّبها في قلبك متأملاً، واحذر الظلم بأنواعه، فإن عاقبته وخيمته، وإن أثره في الدنيا خطر، والظلم يسلب الرزق ويسلب الصحة ويعرّض العبد الظالم لدعاء المظلوم وكل هذا بلاء تلو بلاء، بعض الناس يقول: جاءني شيء ولا أدري من أين جاء؟ ربما لو

فكر في نفسه وجد أنه جرّ على نفسه البلاء، والعياذ بالله.

والعبد المؤمن يجب عليه دائماً أن يكون متحرّياً للحق عاملاً به وذلك يشمل حق الله جل جلاله ويشمل حق عباده ﷺ.

أسأل الله سبحانه أن يعينني وإياكم على الحق والهدى، وأن يجنبنا الضلال والردى، وأن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى، وأن يعيدنا من مضلات الفتن.

نعوذ بالله سبحانه أن نضل أو نضل أو نزل أو نزل أن نظلم أو نظلم.

كما نسأله سبحانه أن يغفر لنا ظلمنا لأنفسنا، وأن يؤتينا الرشد والثبات، وأن يجعل عملنا له جل جلاله وأن يصلح ما بيننا وبينه، وأن يصلح ما بيننا وبين إخواننا.

كما أسأله سبحانه بأسمائه وصفاته أن يجعلنا من المؤمنین من الفرع، وأن يجعلنا من المؤمنین المطمئنين في هذه الدنيا، وأن يصح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ويصلح لا دنينا التي فيها معاشنا.

وأسأله سبحانه أن يوفّق ولاة أمورنا لما فيه الحق والخير، وأن يجعلنا وإياهم من المتعاونين على البر والتقوى إنه سبحانه جواد كريم.

أعوذ بك ربي من مضلات الفتن، وأعوذ بك ربي من قول لا يتبعه عمل، وأسألك ربي أن تجعلنا من الصّالحين المخبّتين الذين يقولون ويعملون، الذين وفقتهم ووفقتهم فإياك نعبد وإياك نستعين، لا حول لنا ولا قوة إلا بك.

اللّهُمَّ أعنا على العدل والحق وأعذنا من الظلم والردى إنك جواد كريم.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

تعليق سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على أشرف الأنبياء وأشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ونسأله تعالى أن يمن علينا فيجعلنا جميعا ممن تبعهم بإحسان، إنه على كل شيء قدير.

وبعد:

فقد سمعنا جميعا هذه المحاضرة القيمة التي ألقاها على مسامعكم معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ نائب وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. وهذه المحاضرة في معناها الظلم وأنواعه وعقوبته وأضراره على العبد في دنياه وآخرته، ولا شك أن هذا الموضوع مهم التنبيه عليه، وكل منا بأمس الحاجة أن يتذكر هذا الموضوع، ويطبقه على نفسه في كل أحواله عساه أن يكون من الناجين من الظلم بأنواعه كلها.

الله جل وعلا أعدل العادلين، ولهذا حرم الظلم على نفسه، وجعله محرما بين عباده، فهو تعالى متّصف بالعدل، يقول الله جل وعلا: «يا عبادي إن حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»، وأخبرنا بقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزّخرف]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصّلت].

فمن كمال عدل ربنا أنه حرم الظلم وتنزه جل وعلا عنه، فإنه صفة نقص في العبد، الظلم صفة نقص في العبد، والكمال والعدل صفة كمال والله المثل الأعلى، والظلم غير لائق بالله فهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [٦١]، فربنا جل وعلا ما ظلم أحدا مثقال ذرة وحاشاه عن ذلك، وكما ذكر أن هذا الظلم أنواع ظلم العبد نفسه.

وأولا الظلم العام الذي هو الشرك بالله، فالظلم المطلق والظلم العام أساسه الشرك بالله، إذ المشرك أتى بأنواع الظلم، أتى بأكبر الظلم وأعظم الظلم وأشدّ الظلم، فإن المشرك الذي وضع العبادة في غير موضعها، مأمور أن يعبد الله وحده، ويُخلص الدين لله وحده، يدعو الله وحده، ويرجو الله وحده، ويكون خوفه على الحقيقة من ربه ويكون رجاءه على الحقيقة لربه، ورغبته ورهبته لربه، هذا فالمشرك عدل عن هذا كله فصرف الأمور على غير مستحقّها ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ [الأنعام]، فالمشركون ظلموا أعظم الظلم، أمروا بأن عبدوا الله فعبدوا غيره، أمروا أن يذبحوا لله فذبحوا لغيره، وأمروا أن يندروا لله فنذروا لغيره، أمروا أن تتعلّق قلوبهم برهم وخالقهم فتعلقت بغير الله، فقد أتوا بأنواع الظلم وأتوا بأشدّ الظلم وأكبره ولذا قال الله: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان]، لظلم عظيم، فإنه الظلم

وغاية الظلم، ولهذا لما أنزل الله هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَآمَنٌ وَهُمْ مُّهُتَدُونَ﴾ [الأنعام]، الصحابة خافوا من هذه الآية، فقالوا: يا رسول الله من منا لم يظلم نفسه؟ لا بد للإنسان من ظلم نفسه، لا بد أن يقع كل منا في الظلم قل ذلك الظلم أو كثر، قال لهم النبي ﷺ «ليس هذا الذي تعنون ألم تسمعون قول العبد الصالح لقمان لابنه: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾» [١٣] ذلك أن الظلم إذا أطلق فالمراد به الشرك، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَآمَنٌ﴾ هذا في حق أهل الإيمان الذين بلغوا درجة الكمال إن لم يلبسوا إيمانهم بظلم، فقد خلا من أنواع الظلم كان إيمانه كاملاً، ومن كان وقع في أي نوع من أنواع الظلم غير الشرك فإن إيمانه ناقصاً، أما ظلم الشرك فإنه يتنافى مع الإيمان ولا يتفق التوحيد مع الشرك.

الشرك مضاد للتوحيد ومناقض للتوحيد وأن يجتمع في العبد شرك بالله والتوحيد مطلقاً، فإن الشرك يناقض التوحيد وينافيه ولا يلتقي التوحيد مع الشرك بالله، فقلب أحب غير الله وعبد غير الله ورجا غير الله لا يكون قلب موحد أبداً؛ لأن الشرك إذا أتى قضى على التوحيد كله ﴿وَلَقَدْ أَوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر].

كذلك كما أشار الشيخ على أن أيضاً من أنكر صفات الله وأسمائه أو صرفوها على غير حقيقتها أو حرفوها على غير ظاهرها أو أولوها على غير ما دل الكتاب والسنة عليه فقد أتوا بظلم عظيم، إذ الواجب الإيمان بكل ما وصف به الله عن نفسه ووصفه به رسوله أو سمى الله به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ إيماناً حقيقياً نؤمن بأسماء الله وصفاته، وأن لله صفات تليق بجلاله وأسماء تليق بجلاله، ولها حقيقة على ما يليق بالله جل وعلا، نؤمن بها وبحقيقتها اللاتقة بالله، لكننا لا نكيف ونشبه ولا نمثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].

ولقد بين الله جل وعلا نوعي الظلم الآخرين:

ظلم العبد لنفسه، فظلمه لنفسه بانتهاك ما حرم الله عليه ومخالفته لأمر الله، وتضييعه لفرائض الإسلام، فقد ظلم نفسه بذلك أنه حملها الآثام والأوزار ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [١] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿الشَّمْسُ﴾ [من أتى بظلم من ترك واجب أو فعل محرّم فإنه بهذا الفعل ينقص إيمانه على قدر ما ارتكب من ظلم.

أما ظلم عباد الله، فإن ظلم عباد الله أيضاً من الأمور المحرمة ومن الدواوين التي لا يمحوها الله بل لا بد من المقاصّة والخلوص منها، وقد وصف الله جل وعلا كثيراً من المعاصي بأنها ظلم، فقال جل وعلا في الرّبا: ﴿وَإِنْ تُبْتَمَرْ فَلَکُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِکُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة]، فجعل المُرّابي ظالماً؛ لأنه أخذ ما لا يستحقه، وإنما هو ظلم وعدوان؛ لأنه مأمور بالإحسان ونفع المسلم، فإذا هو أقرضه منه بفائدة فهو بذلك قد ظلمه وتعدى عليه وأخذ هذه الزيادة ظلماً وعدواناً.

وبين الله جل وعلا أيضاً أن من ظلم المرأة حتى تفتدي منه وترد له ما دفعوا لها، من غير نقص في

حقها وتقصير في الواجب فإن هذا ظلم قال جل وعلا في كتابه العزيز: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة].

وبيّن جل وعلا أيضا في أكل مال اليتيم ظلم والتعدي عليه ظلم، إذ الواجب حفظ ماله ورعايته ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء].

وبيّن الله جل وعلا أن اغتياب المسلمين وانتهاك أعراضهم ظلم قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَطِ بَسَّ إِلَّا سُمْيُ الْقُسُوفِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، [بين سبحانه] الساخرين بعباد الله والمحتقرين لهم واللامزين لهم والغائبين أنهم ظلمة متعدون فاعلون ما حرم عليهم.

وبيّن ﷺ أن مطل الغني وتأخير الوفاء مع قدرته عليه ظلم فقال «مطل الغني ظلم يحل عرضه وعقوبته» وقال أيضا مبينا اقتطاع مال المسلم بغير حق ظلم «من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه يوم القيامة من سبع أراضين».

فعلى المسلم الحذر من ظلم العباد، ومن أكل أموالهم بالباطل، وفي الحديث ثلاثة «يقول الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته» وذكر رجلا استأجر أجيرا ولم يعطه حقه، فإن هذا ظلم لهذا المسلم الذي له حق عليه لكن استغل ضعفه وعجزه فأكل ماله ظلما وعدوانا.

نسأل الله أن يعافينا وإياكم من الظلم وأهله، وأن يخلصنا وإياكم من ذلك، وأن يجعلنا وإياكم من الناجين من عذاب الله إنه على كل شيء قدير، وجزى الله الشيخ على هذه المحاضرة القيمة خيرا.

[الأسئلة والأجوبة]

سؤال (١): إذا وقعت العقوبة على الظالم هل ترفع عنه يوم القيامة؟

الجواب: لا شك أن العقوبات إما أن تؤخر في الآخرة أو تعجل في الدنيا، وقد يجمع الله للعبد عقوبتين والعياذ بالله، فقد يعاقب في الدنيا بعقوبة ويعاقب في الآخرة بعقوبة، لكن على المسلم أن يتقي الله فإن كانت العقوبة في الدنيا قد تخفف من عقوبات في الآخرة؛ لكن على المسلم أن يحذر ويخشى أن يجمع عليه العقوبتين لعظم جرمه وعظم إثمه، وإلا فمصائب الدنيا تخفف من عقوبة اليوم الآخر تخففها؛ ولكن قد يعاقب العبد في الدنيا، نسأل الله العفو والعافية.

سؤال (٢): كيف يتخلص الإنسان من الظلم الخاص بالعباد؟

الجواب: إذا ظلمهم يرد لهم حقوقهم، يقول ﷺ: «من كان عند أخيه مظلمة من مال أو دم أو عرض فليتحل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له حسنات أخذ من حسناته، وإن لم يكن من حسنات أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار».

سؤال (٣): منذ سبع عشرة سنة أفطرت أياما من رمضان وكنت أجهل الحكم، ولا أعلم عدد الأيام

التي أفطرتها فماذا علي الآن؟

الجواب: عليك أن تتحرى وتحتاط لنفسك، وتقضي تلك الأيام، وتطعم مع كل يوم مسكين إن كان هذا التأخير بلا عذر.

سؤال (٤): ما هو هدي النبي ﷺ في الصيام لشهر شعبان هل صيام للشهر أم بعضه؟

الجواب: أولا النبي ﷺ ما استكمل صيام شهر كامل غير رمضان؛ لكن كان يصوم في شعبان أكثر مما يصوم في سائر الشهور، فإنه ﷺ كان يصوم حتى يقال له: أفطر، وكان يفطر حتى يقال أنه لا يصوم، وكان في شعبان يكثر الصيام فيه، ولكنه ما خص أيام منه معينة، ما خص ليلة النصف من شعبان دون سائر الأيام واختص أسبوعا بالصيام وإنما كان يصوم في شعبان أكثر مما يصوم في غيره من الشهور؛ ولكنه ما استكمل شهرا كاملا بالصيام غير رمضان.

سؤال (٥): بعض الناس يأخذون عودا أخضر ويقرءون عليه بعض الآيات من القرآن الكريم ثم

يدفنونه في القبر، ما حكم هذا العمل؟

الجواب: هذا بدعة لا أصل له في الشرع، النبي ﷺ لما أخبره الله عن أولئك القبرين اللذين يعذبان قال: «وما يعذبان بكبير»، فأخذ جريدة فشققها نصفين فغرز على كل قبر واحدة، وقال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

قال العلماء: هذا خاص به ﷺ؛ لأن الله أطلعه على أن صاحبي هذين القبرين يعذبان، وغير النبي لا يستطيع أن يطلع على شيء من ذلك، فوضع هذه الشجرة غرسها أو إدخالها في القبر كل هذا لا أصل له في الشرع.

سؤال (٦): هل على العسل زكاة وكيف تُخرج الزكاة؟

الجواب: من العلماء من يرى الزكاة على العسل، ومنهم من لا يرى الزكاة عليه، ويقولون: العسل ليس كالثمار التي لها موسم هذا دائما موجود وليس له موسم محدد، ... فلا زكاة عليه.

ومن العلماء من يزكيه ويقول: إذا بلغ نحو ما يقارب [مائة كيلو] أو نحو ذلك تجب فيه الزكاة.

إلا أن الفتوى الصادرة على العسل ليس فيه زكاة إذ لم يثبت فيه أثر صحيح.

لكن إن كان هذا العسل يتجر فيه، نوع من التجارة، فإن صاحب هذه البضاعة يقوم كل حول بضاعته مهما كانت، إذا كان يشتري العسل لبيعه فنقول: هذا العسل الذي اشتريته للبيع إذا مضى الحول فقوم العسل بقيمته الحاضرة وزكه.

ولكن الكلام لو وجدت العسل وأخذته من أماكنه فإني لا أزكيه، أما إذا جعلته سلعة أبيع واشتري فيها أقومها عند الحول بما تبلغ به قيمتها، وأخرج ربع عشر قيمتها فأجعلها زكاته.

سؤال (٧): بعض الجهات من الشركات يقومون بإعطاء الموظفين الجدد بتأخير رواتبهم شهرين ثم

يعكونهم الرواتب الكاملة، هل هذا من الظلم؟

الجواب: هذه أمور إدارية ربما تكون أشياء إدارية تأخذ مجراها، فلا أظن إن شاء الله أنها تعمدا ولكنها أمور إجرائية لها شأنها ولا أظن هذا مقصود به ظلم.

سؤال (٨): ما حكم الزكاة للذهب

الجواب: الذهب يعني غير الحلي، أما الحلي ما فيه كلام، الذهب غير المصاغ، الذهب التبر أو نحو ذلك، هذا يقوم بقيمته عند كمال الحول، سواء وافقت قيمة الشراء أو نقصت، هذا في الذهب التبر والسبائك.

أما حلي النساء كما هو معروف أن لبسه زكاة له.

الذهب غير حلي النساء يقوم بقيمته الحاضرة، إذا أراد أن يخرج الزكاة من الفضة أو الأوراق النقدية فإنه يقوم به عند الحول فيخرج الزكاة ربع عشر قيمته الحاضرة سواء وافق قيمته الأصلية أو نقص أو زاد.

سؤال (٩): ما صحة الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ: «من يتصدق على أخيه»؟

الجواب: «من يتصدق على هذا فيصلي معه» حديث ثابت.

سؤال (١٠): لدي أرض سكنية وقد قدمتها على ... التهيئة ... سأبيعها، هل علي زكاة؟

الجواب: الأرض إذا لم تهيئها للاستثمار بناء أو تأجيرا فإنما مهيأة للبيع فتقومها عند رأس كل حول بما تبلغ به قيمتها الحاضرة. وتخرج ربع عشر قيمتها.

سؤال (١١): إذا قام الإمام في الصلاة الرباعية إلى الركعة الخامسة ثم نبه فجلس هل يسجد للسهو

بعد السلام أم قبله؟

الجواب: السجود للسهو جاء عن النبي ﷺ سلم من نقص فسجد قبل السلام وسلم من زيادة فسجد قبل السلام، وبناء على غالب الظن أنه لو سجد قبل السلام أو بعده فأرجو أن لا حرج عليه في ذلك.

سؤال (١٢): لي تجارة وعمل في جدة وقد يحصل لي فرصة لأداء العمرة ولكن هل يلزمني

الإحرام في الطائفة أو اني من أهل الديار؟

الجواب: إذا كنت ناويا العمرة قبل الذهاب إلى جدة، فما أن تحرم قبل النزول إليها بالطائفة وإلا فاذهب إلى الميقات بالسير وأحرم منه، أما إذا نزلت في جدة فلا يحق الإحرام منها لأنها داخل الميقات.

سؤال (١٣): ورد في حديث النبي ﷺ أن زائر المريض يتبعه سبعون ألف ملك هل إذا زار أكثر من

مريض يتبعه من الملائكة أكثر من سبعين ألف في يوم الواحد؟

الجواب: المهم أن عيادة المريض سنة، ومن حق المسلم على المسلم أن يعود المريض ويزور أخاه المريض تسلية له ومواساة له؛ ودعاء له، وحثا له على الخير وحثا له على الصبر، أما هذا الحديث لا أعلمه، على كل حال زيارة المريض سنة وهي من حق المسلم على المسلم.

سؤال (١٤): هل القطرة في الأنف في شهر رمضان للعلاج تفسد الصوم؟
الجواب: أرجو أن القطرات يعني القطرة في الأنف والأذن لا تفطر.

